الغيبة: حقيقتها، خطرها، وصورها

1 مقدمة

- الغيبة من أعظم الكبائر انتشارًا، يستهين بها الناس رغم خطورتها.
- هي ماحقة للحسنات؛ قد تُذهب جميع الأعمال الصالحة.
- الحساب فيها عسير؛ لأنها متعلقة بحقوق العباد.

تعريف الغيبة:

- قال النبي ﷺ: «**ذكرك أخاك بما يكره**»
← **أي:** الاعتداء على عرض المسلم بكلام لا يحبه.

2 تعظيم الشريعة لعرض المسلم

الواقع المعاصر:
استيراد ثقافة السخرية من الأعراض (كما في الإعلام الغربي).

الدليل على عِظم حرمة العرض:
1. **قصة السيدة عائشة رضي الله عنها:**
قالت عن صفية "حسبك أنها قصيرة"، فقال النبي ﷺ: "لو مُزجت بماء البحر لمزجته".
2. **حديث حجة الوداع:**
حرمة الدم والمال والعرض كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام.
3. **قول ابن عمر رضي الله عنهما:**
نظر للكعبة وقال: "ما أعظمك.. والمؤمن أعظم حرمة منك". (الوقوع في العرض أشد من هدم الكعبة).
4. **حديث المسيئة بلسانها والعابدة:**
المرأة التي تؤذي جيرانها في النار، والتي لا تؤذي في الجنة. (دليل على أن الغيبة تأكل الحسنات).
5. **موقف السلف: قصة إياس بن معاوية وتوبيخه لصديقه:**
"سَلِم منك السند والهند.. ولم يسلم منك أخوك هذا؟".

3 تعريف الغيبة وأدلة تحريمها

الأدلة من القرآن والسنة:
القرآن الكريم:
- ﴿وَلا يَغتَب بَعضُكُم بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ لَحمَ أَخيهِ مَيتًا﴾ [الحجرات: 12].
- **العبرة:** تشبيه الغيبة بأكل الجيفة للتنفير منها.

السنة النبوية:
- تعريف النبي ﷺ: "ذكرك أخاك بما يكره".
- **الفرق بين الغيبة والبهتان:**
الغيبة: (ما فيه)، البهتان: (ما ليس فيه).
(البهتان **أشد** لأنه جمع بين الغيبة والظلم، **جزاؤه** "ردغة الخبال").
- شمول الغيبة (نقلاً عن النووي والغزالي): تشمل ذكر ما يكره في: بدنه، دينه، دنياه، نفسه، خلقه، ماله، ولده، زوجه، ثوبه، حركته، أو بلده وأصله.

حكم الغيبة:
- **إجماع:** هي من الكبائر (القرطبي، ابن حجر الهيتمي).
- **الجزاء من جنس العمل:** "لا تتبعوا عورات المسلمين.. ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته".
- **الغيبة في حق العلماء:** أشد خطراً (لحومهم مسمومة)، وعادة الله هتك ستر منتقصيهم.

عذاب الغيبة في القبر:
- **حديث صاحبي القبرين:**
"وما يعذبان في كبير.. بلى، النميمة وعدم الاستنزاه من البول".
- **أثر قتادة:** عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة.
- **حديث المعراج:** "مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم.. هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس".

4 وسائل الغيبة

التعريف اللغوي والعملي:
كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم (لفظ، كتابة، إشارة، محاكاة).

غيبة المتعبدين (المبطنة):
كقولهم "**الله يهديه**" بقصد إشعار السامع بعيبه.

صور معاصرة للغيبة:
- الكوميكس والتعليقات الساخرة على صور ومقاطع المشاهير والرياضيين.
- برامج المقالب والتقليد والبرامج الحوارية (المذيع والمستمع شريكان).
- مقاطع البلوجر واستوديوهات التحليل الرياضي (المشاهد والراضي شريك).

التفشي: التحدث عن نادٍ آخر أو شعب آخر بسوء.
تحذير ابن تيمية: من يغتاب موافقةً لجلسائه خشية نفورهم.

5 حال المستمع للغيبة

- **القاعدة:** المستمع شريك إذا رضي.
- **الدليل:** قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع الخادم، فقال النبي ﷺ: "قد ائتدمتما بلحم أخيكما" (لأن أحدهما سكت عن كلمة الغيبة).

واجب المستمع (للخروج من الإثم):
1. **الإنكار الصريح:** كما فعل معاذ رضي الله عنه عندما رد على من اغتاب كعب بن مالك قائلاً: "بئس ما قلت".
2. **كلمة عامة:**
قول "لا نريد أن يأخذ أحد حسناتنا" أو تغيير المسار بلطف.
3. **تغيير مسار الحوار:** الانتقال لموضوع آخر من الجمادات.
4. **مفارقة المجلس:**
عند العجز عن الإنكار (لقوله تعالى: ﴿فَلا تَقعُدوا مَعَهُم﴾).
5. **الإنكار بالقلب:** عند الخوف من ضرر كبير، مع شغل النفس بذكر الله (التفريق بين السماع القهري والاستماع برضى).

الغيبة: الوقاية، الأحكام، والتوبة

1 كيفية السلامة من الغيبة

1. **اللجوء إلى الله والدعاء:**
طلب ولاية الله لتسليم السمع (حديث النوافل: "كنت سمعه الذي يسمع به").
2. **معرفة أن الجزاء من جنس العمل:**
الخوف من أن يبتليك الله بنفس العيب (قصة ابن سيرين: "عيرته بالفقر فأفلست بعد أربعين سنة").
3. **الانشغال بعيوب النفس:**
"يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه". (لا يغتاب إلا ناقص).
4. **تذكر أكل الحسنات:**
إعطاء حسناتك لمن اغتبتهم يوم القيامة (قول الحسن: "لم يبلغ قدرك عندي أن أعطيك حسناتي").
5. **فضيلة الصمت:**
"لن تزال سالماً ما سكت". (عمر: من كثر كلامه كثر سقطه).
6. **خطورة اللسان:**
"وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم".
7. **النظر في القدوات:**
- موقف معاذ رضي الله عنه في الدفاع عن كعب.
- موقف زينب بنت جحش رضي الله عنها في حادثة الإفك: "احم سمعي وبصري.. ما علمت إلا خيراً".
8. **ترك المخالطة قدر المستطاع:**
"أقل من معرفة الناس تقل غيبتك". (مع التوازن كما قال الشافعي: كن بين المنقبض والمنبسط).

2 ماذا يجب على من حضر مجلس غيبة؟

الواجب: رد عرض أخيه.

بشارات لمن يذب عن العرض:
- بعث الله ملكاً يحمي لحمه من النار.
- حق على الله أن يعتقه من النار.
- نصره الله في الدنيا والآخرة.
- رد الله عن وجهه النار يوم القيامة.

عندما يكون شرف المغتاب أعلى لا بد أن غضبك يزداد.

3 متى تجوز الغيبة؟

القاعدة: تجوز بقدر الحاجة في الحالات التالية:-
1. **التظلم:**
ذكر الظلم لمن يستطيع رفعه فقط (لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾).
2. **الاستفتاء:** كقول هند "إن أبا سفيان رجل شحيح".
3. **طلب النصيحة:** كقول النبي ﷺ في معاوية: "صعلوك لا مال له".
4. **التحذير:**
من أهل الفسق والبدع المعلنين والنصابين (بقدر التحذير فقط).
5. **المعروف بلقب لا يكرهه:** كالأعمش والأعرج.

4 كيفية التوبة من الغيبة

1. **التوبة بين العبد وربه:**
- **شروطها:**
الندم،
الإقلاع الفوري،
العزم على عدم العودة،
الإكثار من الطاعات.

2. **التوبة المتعلقة بحق المخلوق:**
- **القول الأول:-** يلزم إخباره وطلب السماح (للحديث: "فليتحلله").
- **القول الثاني:-** (الراجح عند ابن تيمية وابن مفلح):
لا يلزم إخباره إن لم يعلم، ويكفي:
- الاستغفار له.
- الصدقة عنه بنية التحلل.
- ذكره بالخير في المجالس التي اغتيب فيها.
استثناء مهم: إذا علم أنك اغتبته، وجب عليك الذهاب إليه والاعتذار وطلب المسامحة.

5 آثار من السلف

- **أبو عاصم النبيل:** "منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحداً قط".
- **عبد الله بن عون:**
صحبه أحدهم 24 سنة فما علم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.
- **الربيع بن خثيم:** ظل 20 سنة لم يُسمع منه كلمة تعاب.
- **وكيع بن الجراح:** ما سُمع يذكر أحداً بسوء قط.

خلاصة:
كان السلف يرون أن العبادة الحقيقية هي الكف عن أعراض الناس.